

الكشاف

ألا ترى كيف عطف عليه البرد وهو النوم . ويقال : ما ذقت غماضا . ونحوه من الابتلاء : ما ابتلى الله به أهل أيلة من ترك الصيد مع إتيان الحيتان شرعا بل هو أشد منه وأصعب . وإنما عرف ذلك طالوت بإخبار من النبي . وإن كان نبيا - كما يروي عن بعضهم - فبالوحي . وقرئ بنهر بالسكون . فإن قلت : مم استثنى قوله : " إلا من اغترف " ؟ قلت : من قوله : " فمن شرب منه فليس مني " والجملة الثانية في حكم المتأخرة إلا أنها قدمت للعناية كما قدم " والصائبون " المائدة : 69 ، في قوله : " إن الذين آمنوا والذين هادوا والصائبون " ومعناه : الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والدليل عليه قوله : " فشربوا منه " أي فكرعوا فيه " إلا قليلا منهم " وقرئ : غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف . وقرأ أبي والأعمش : إلا قليل بالرفع . وهذا من ميلهم مع المعنى والإعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل من علم العربية . فلما كان معنى " فشربوا منه " في معنى فلم يطيعوه حمل عليه كأنه قيل : فلم يطيعوه إلا قليل منهم . ونحوه قول الفرزدق : لم يدع ... من المال إلا مسحت أو مجلف .

كأنه قال : لم يبق من المال إلا مسحت أو مجلف . وقيل : لم يبق مع طالوت إلا ثلثمائة وثلاثة عشرة رجلا " والذين آمنوا " يعني القليل " قال الذين يظنون " يعني الخالص منهم الذين نصبوا بين أعينهم لقاء الله وأيقنوه . أو الذين تيقنوا أنهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة . وقيل : الضمير في " قالوا لا طاقة لنا " للكثير الذين انخدلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه كأنهم تقاولوا بذلك والنهر بينهما . يظهر أولئك عذرهم في الانخدال ويرد عليهم هؤلاء ما يعتذرو به . وروي : أن الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه وإداوته . والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش .

" ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين " و جالوت جبار من العمالقة من أولاد عمليق بن عاد وكانت بيضته فيها ثلثمائة رطل " وثبت أقدامنا " وهب لنا ما نثبت به في مداخل الحرب من قوة القلوب وإلقاء الرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الأسباب . كان إيشى أبو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فأوحى إلى اشمويل أن داود بن إيشى هو الذي يقتل جالوت فطلبه من أبيه

فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة أحجار دعاه كل واحد منها أن يحمله وقالت له : إنك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته . وروي أنه حسده وأراد قتله ثم تاب " وآتاه الله الملك " في مشارق الأرض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو إسرائيل على ملك قط قبل داود " والحكمة " والنبوة " وعلمه مما يشاء " من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك " ولولا دفع الله الناس " ولولا أن الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الأرض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الأرض . وقيل : ولولا أن الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الأرض بغيث الكفار فيها وقتل المسلمين . أو لو لم يدفعهم بهم لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل أهل الأرض .

" تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين " " تلك آيات الله " يعني القصص التي اقتصها من حيث الألف وإيمانهم وإحيائهم وتمليك طالوت وإظهاره بالآية التي هي نزول التابوت من السماء وغلبة الجابرة على يد صبي " بالحق " باليقين الذي لا يشك فيه أهل الكتاب لأنه في كتبهم كذلك " وإنك لمن المرسلين " حيث تخبر بها من غير أن تعرف بقراءة كتاب ولا سماع أخبار